

قوله تعالى : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكفار المتقدم ذكرهم في قوله : { وَاتَّخَذُوا الطَّاغُوتَ فِيهَا جِثِيًّا } اتخذوا من دون الله أي معبودات من أصنام وغيرها يعبدونها من دون الله ، وأنهم عبدوهم لأجل أن يكونوا لهم عزاً أي أنصاراً وشفعاء ينقذونهم من عذاب الله . كما أوضح تعالى مرادهم ذلك في قوله : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لَيُقَرَّرَ بِوَنَاءِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } فتقريبهم إياهم إلى الله زلفى في زعمهم هو عزهم الذي أملوه بهم . وكقوله تعالى عنهم : { وَيَقُولُونَ هَآؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } . فالشفاعة عند الله عز لهم بهم يزعمونه كذباً وافتراءً على الله . كما بينه بقوله تعالى : { قُلْ أَتُذَيِّبُونَ اللَّهَ بِرَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } .

وقوله في هذه الآية الكريمة { كَلَّا } زجر وردع لهم عن ذلك الطن الفاسد الباطل . أي ليس الأمر كذلك لا تكون المعبودات التي عبدتم من دون الله عزاً لكم ، بل تكون بعكس ذلك . فيكون عليكم ضداً ، أي أعواناً عليكم في خصومتكم وتكذيبكم والتبرؤ منكم . وأقوال العلماء في الآية تدور حول هذا الذي ذكرنا . كقول ابن عباس { ضدّاً } أي أعواناً (وقول الضحاك { ضدّاً } أي أعداء . . وقول قتادة { ضدّاً } أي قرناه في النار يلعن بعضهم بعضاً ، وكقول ابن عطية { ضدّاً } يجيئهم منهم خلاف ما أملوه فيؤول بهم ذلك إلى الذل والهوان ، ضد ما أملوه من العز . .

وهذا المعنى الذي ذكرنا جل وعلا في هذه الآية الكريمة : بينه أيضاً في غير هذا الموضع . كقوله : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَنْسُدْ جِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } ، وقوله تعالى : { ذَلِكَ كُفُّ اللَّهِ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنذِبْكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ { إلى غير ذلك
من الآيات . وضمير الفاعل في قوله : { سَيَكْفُرُونَ } فيه وجهان للعلماء ، وكلاهما يشهد
له قرآن . إلا أن لأحدهما قرينة ترجحه على الآخر .